الفصل الرابع

المستوى الدلالي

توطئة:

يدرس هذا الفصل المستوى الدلالي، حيث يعتبر أحد أهم مستويات اللغة، وعليه تقف المعاني اللغوية، وبه تتضح وترتسم المعالم، إضافة إلى أنه المرتكز لتفريغ المعاني لاعتبارات عديدة بمكونات صوتية، وصرفية، ونحوية، وعليه تدرس الكاتبة أهم المضامين في الخطاب العماري؛ ليتسنَى لها الولوج إلى الحقول الدلالية والعلاقات بين ألفاظها من ترادف وأضداد ومشترك لفظي، وكذلك دراسة المصاحبات اللغوية في الخطاب العماري.

"ويعني علم الدلالة بدراسة المعنى في مجالات الصوت والمفردة والتركيب، وهذا فرق مهم بينه وبين "علم المعجم" الذي يعنى ببيان معنى المفردة وتطبيقاتها في متون المعجمات"[1].

مضامين الخطاب العماري:

تُسلط الكاتبة الضوء على أهم المضامين والمرتكزات التي احتواها الخطاب العمّاري، حيث امتلأت بالعديد من المضامين التي جعلت من هذه الخطابات ثروة اجتماعية، ووطنية، ودينية، وسياسية، وثورية، ومرجعية ترتكز عليها أية دراسة تعلّقت بالقائد الرمز، وبعد دراسة الخطابات، وجدت الكاتبة أن أكثر ما احتوت عليه من مضامين كانت المضمون الاجتماعي، المضمون الثوري، مضمون الوحدة الوطنية،المضمون الديني، إضافة إلى تعريج الرئيس عرفات للعديد من الموضوعات الأخرى خارج هذه المضامين مثل موضوع الوحدة العربية، وحقوق الإنسان، والمرأة الفلسطينية، ولكن ما اختارته الكاتبة كان الأكثر شيوعاً وتناقلاً عبر الأجيال والدارسين.

أولا: المضمون الاجتماعي عند أبي عمَّار:

أثرت بيئة ياسر عرفات الأولى على مفاهيمه الاجتماعية وحرصه على تعاضد البنية المجتمعية الفلسطينية وترابطها، فالبيئة الأوليّة التي عاش وترعرع فيها كانت

---

(1) التثقيف في اللغة العربية، صادق عبد الله أبو سليمان، مرجع سابق.ص265

تقوم على الحبِ، والألفة، والتراحم، والتعاضد بين أفراد الأسرة الأوليّة، والأسرة الممتدة والمنطقة السكنية عامة، الأمر الذي انعكس عليه في مسيرته النضالية، وإيمانه بأهمية التلاحم والترابط الجماهيري، وقوة البنية الاجتماعية الفلسطينية، فأيقن ياسر عرفات منذ بداياته الثورية الأولى بأنَّ التلاحم والترابط بين أبناء شعبه هو أساس لقوة الثورة وعنفوانها، وأنَّ الجماهير المتحدة المتراصة هي الرافد الأول والحارس الحقيقي للثورة ورجالاتها على قاعدة أنَّ العلاقة بين الثائر والجماهير هي العلاقة ذاتها بين السمكة وارتباطها بالماء.

فكان عرفات يحرص على الوحدة الاجتماعية لبنية المجتمع الفلسطيني سواء في الداخل الفلسطيني أو في الشتات، وعلى وحدة العلاقة وأواصر الأخوة والمحبة بين المسلم والمسيحي واليهودي، ونجد أن ياسر عرفات كان دائم التركيز في خطاباته ومفرداته اللغوية الوطنية والاجتماعية على وحدة الشعب بكل أطيافه وفئاته، وتعريجه في خطاباته على الشهداء وذكرهم بالاسم، والأسرى والجرحى والمرأة، والعمال، والشباب، والأشبال، والزهرات، والشيوخ، ومخاطبته للجماهير بأنها الوقود الحقيقي للثورة عبر مفردات عامية وجماهيرية شائعة تشعل حماسهم حين يخاطبهم مباشرة، والتي كانت تصل في بعض الخطابات إلى شبه الحوار بينه وبين الجماهير كما في خطابي **جنين وقلقيلية**.

وفي خطاب الأمم المتحدة 1974م، ظهرت الكثير من الألفاظ الاجتماعية التي توحي بوحدة الحالة الاجتماعية للفلسطينيين مثل **:" بيوتنا، حقولنا، أشجارنا، مشكلتنا، أرضنا، علينا"**، إضافة لذكره مآسي شعبه في أكثر من محل في الخطاب مثل: **" لشدَّ ما يتألم شعبنا"، " فرضت علينا قسرا "**، وكذلك نجد التصاقه الاجتماعي ببيئته الأولى **مثل: "وأنني أحد أبناء بيت المقدس"**، وعن ذكره عن صور التآخي في مجتمعه **"وصور رائعة عن مظاهر التآخي الديني التي كانت تتآلف في مدينتنا المقدسة قبل حلول النكبة"**.

وعلى صعيد أوسع فقد أكدت بعض المعاني والجمل الواردة في خطاب الرئيس ياسر عرفات على تمسكه بوحدة الحالة العربية الاجتماعية والأخوية بذكره لوقفات العرب وتضحياتهم وما عانوه أيضاً من الاحتلال الصهيوني مثل**:" فما كان من أمتنا العربية وفي مقدمتها مصر وسوريا إلا أن تبذل الجهود المضنية "**، وكذلك ذكره للجولان، وسيناء، وتدمير مدينة القنيطرة السورية، وعن جنوب لبنان للتأكيد على الوحدة الاجتماعية بين الشعب الفلسطيني والشعوب العربية.

كان لطبيعة **الخطاب في دورة المجلس الوطني في الجزائر**1987، **(مؤتمر الوحدة الوطنية)** ولمكانه وزمانه دور واضح في تغير الألفاظ والجمل والمفردات المتعلقة بالمضمون الاجتماعي عند ياسر عرفات، فالخطاب كان بأكثر من اتجاه ومغزى تعدّت الوحدة الاجتماعية الفلسطينية إلى إطارها العربي وللأصدقاء والأشقاء

في العالم، فكثرت فيه ألفاظ ومفردات الأخوة والشكر الكبيرين، خاصة وأن الخطاب جاء بجهدٍ عربي ودولي من الأشقاء؛ لرأب الصدع الذي أصابَ العلاقات الفلسطينية الفلسطينية بين فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، ولسنوات مهمة وصعبة في تاريخ القضية الفلسطينية، فكثرت في الخطاب مفردات الأخوة للحضور من فلسطينيين وعرب فذكر الرئيس ياسر عرفات لفظ أخي (عشر مرات)، ولفظ إخواني(اثنا عشر مرة) ولفظ الأخوة (ثلاث مرات)، ولفظ إخواننا (مرة واحدة)، ولفظ الشقيقة مرتين، والأشقاء (مرتين)، والصديق (ثلاث مرات)، والأصدقاء (مرتين)، وصديقنا (مرة واحدة)، والصديقة (مرة واحدة)، وأصدقائنا (مرة واحدة)، وأتت هذه الألفاظ في الغالب في بداية الجمل والعبارات؛ للتأكيد على الاحترام والتقدير لكل الحضور ولجهودهم الرامية لوحدة الصف الفلسطيني.

كذلك نجد تكراره لكثير من عبارات الشكر والتقدير للشعب الجزائري، تقديرا له ولرئيسه **(الشاذلي بن جديد)**، وللصين، وروسيا، وليبيا على مواقفهم المشرفة ويأتي هذا الشكر المتكرر في خطاب ياسر عرفات من باب العرفان والوفاء والتقدير للآخر وكسب وده لصالح قضيته، وكذلك تكراره لمصطلح " الأمة العربية"، بقوله **:" أحرار وشرفاء الأمة العربية"**، وحديثه للعرب ونتيجة للوضع العربي الصعب كما قال في خطابه بأن يكونوا: **" مطلوبٌ منا أن نكون على قلب رجل واحد"**، وحديثه عن الجيش العراقي الذي يناضل نيابة عن الأمة العربية على البوابة الشرقية.

وعلى الصعيد الاجتماعي الفلسطيني، وفي معظم خطاباته لم ينسَ فئات شعبه محاولا طمأنتهم على وحدة الفصائل وإبراز دورهم وتقديره لهم **:" ماذا أقول لهؤلاء الطلاب في جامعة الأزهر بغزة وفي جامعة النجاح وفي جامعة بير زيت، وفي جامعة الخليل وفي جامعة القدس وجامعة بيت لحم الذين يتصدون اليوم مع كل شعبهم عمالاً وفلاحين، رجالاً ونساء وأطفالا "** ويمكن القول أن المضمون الاجتماعي هنا اختلف عن باقي الخطابات حيث ركّز على أهمية اجتماع الصف الفلسطيني من أجل بناء وطن ودولة فلسطينية مستقلة.

وفي **وثيقة الاستقلال** 1988م، اهتم ياسر عرفات بوحدة الحياة الاجتماعية لكل الفلسطينيين والمساواة بينهم، وكان الخطاب وكأنه رسالة تطمئن الكل الفلسطيني المسلم والمسيحي، وكذلك اليهودي الذي وُلِد في فلسطين دون تهجيره من أوروبا لها، وكذلك للفلسطينيين الذين يعيشون في الشتات حين قال: **" إن دولة فلسطين هي للفلسطينيين أينما كانوا فيها يطورون هويتهم الوطنية والثقافية**، وشَمل تأكيده على الحريات والمعتقدات **" تصان فيها معتقداتهم الدينية والسياسية وكرامتهم الإنسانية"** وكذلك تركيزه الواضح على الحريات والحقوق للمواطنين **" حرية الرأي، وحرية تكوين الأحزاب، ورعاية الأغلبية حقوق الأقلية، وعلى العدل**

الاجتماعي والمساواة، وعدم التمييز في الحقوق العامة على أساس العرق أوالدين أو اللون أو بين الرجل والمرأة"

ويمكن القول إن هذا الخطاب كان أغنى خطابات ياسر عرفات إلى جانب خطاب الأمم المتحدة في حقوق المواطنين وتأسيس لحياة اجتماعية، وإلى تعايش سلمي متسامح بين الكل الفلسطيني، ولعل هذا ناتج عن قراءة الرئيس للمستقبل قراءة جدية بأنَّ العودة للوطن باتت قريبة، وهذا ما كان يتصف به ياسر عرفات في نظرته المستقبلية.

واللافت حسن اختيار ياسر عرفات لمفرداته حسب السياق والمكان وطبيعة المتلقي، فنجده في خطاباته الجماهيرية يركز على المضمون الاجتماعي عبر مفردات يكررها في الخطابات، وفي الخطاب الواحد- ففي **خطاب جنين** الجماهيري بتاريخ 1995/11/19م، وفي **خطاب نابلس** 1995م، ذكر ياسر عرفات المفردات : **يا إخواني، يا أحبائي، يا ربعي، يا كل ربعي، يا أهلي، يا كل أهلي، نعم يا أخوتي، نعم يا أخوتي**، فهي مفردات تدل وتُشير إلى الترابط والنسيج الاجتماعي والعلاقة بين القائد والجماهير، وكذلك حين خاطب الجماهير بصفة الجمع بينها وبين القيادة دالاً على وحدة الحال والقرار والمصير، وعبارته الشهيرة **" معاً وسوياً نبني الدولة الفلسطينية المستقلة "**، ماهي إلا جملة مهمة تؤكد إيمان عرفات بدور الجماهير والمجتمع بمرحلة البناء كما مرحلة التحرير، كذلك تطرق عرفات لذكر شهداء المخيمات التي كان يزورها ويلقي خطاباته فيها: **"فلنتذكر الشهيد نور، الشهيد بلال وأميرهم أبو جهاد".**

كما وركز عرفات على **أهمية دور المرأة النضالي** حيث يذكر ذلك في الخطابات مشيرا إلى الأسيرات وأمهات الشهداء حيث قال: **" من جنين المحررة نرسل التحية والاعتزاز لأسرانا وأسيراتنا لمعتقلينا ومعتقلاتنا، " وأوجه تهنئة خاصة للأخوات من أعضاء المجلس وأقول لهن : إن وصولكن إلى عضوية المجلس هو شهادة تقدير من شعبنا للدور البارز الذي أدته المرأة الفلسطينية في كافة مراحل نضالنا الوطني ،وعلى أهمية مواصلة هذا الدور وتطويره في المستقبل "**، وقوله في موضع آخر"**والمساواة بين المرأة والرجل"**، وكذلك تركيزه في خطاب طولكرم على دور المرأة في المجتمع والبناء الاجتماعي **" أحيي بإجلال المرأة الفلسطينية، المرأة الفلسطينية، حارسة نارنا المقدسة، وحامية بقاؤنا، أحييها هنا في طولكرم".**

واهتمامه أيضاً **بوحدة المخيمات والأرض الفلسطينية** وترابطها في الخطاب ذاته :**" من جنين المحررة نرسل التحية إلى رفح و خانيونس وغزة والخليل وبيت لحم ونابلس "**، وهنا ذكاء سياسي كبير لدى ياسر عرفات عبر استخدامه مفردات المدن في الضفة وغزة للرد على من شككوا قائلين " غزة أولا وأخيرا" ردا على

اتفاق أوسلو للسلام، وهذا التكرار **نجده في أغلب خطاباته الجماهيرية في طولكرم وقلقيلية ورام الله وبيت لحم ونابلس.**

والحديث بصيغة الجمع وهو يخاطب الجماهير مثل: **"نبني، نكتب، نحرر، ننشئ، نحافظ، نقاوم"**، وهي معاني تعطي للجماهير قناعة بأنها شريكة في النضال والبناء، كذلك يتضح من معظم خطابات عرفات الجماهيرية تركيز عرفات على مديح الجماهير، واحترامها وإبراز دورها وهي لغة خطابية تبرز حنكته من جهة، والتصاقه بالجماهير التي تُحب أن تلقى هذا التقدير والاعتزاز بالذات من خطابات القادة ففي **خطاب قلقيلية** 1995م، خاطب عرفات الجماهير في أكثر من محل بعبارات التفخيم والتمجيد مثل: **" كم رفعتم رؤوسنا في سنوات الانتفاضة المباركة"** و وصفه للأشبال والزهرات ب **"الجنرالات الجدد"** وقوله لأهل قلقيلية **" انتو اللي زرعتوا البرتقال والزيتون في الصخر "** وقوله **" انتو القوم الجبارين انتو القوم الجبارين"** وكذلك رسالته للجميع باحترام رجال الدين كأهم ركائز المجتمع، نجده استغل وجود مفتي القدس "عكرمة صبري" ليرحب به ويُذكر جماهير قلقيلية بأنه ابن للمدينة **" يا أخي مفتي الديار الفلسطينية ومفتي القدس " "مفتينا ابن قلقيلية عكرمة صبري"**.

نلاحظ قوة العلاقة والترابط الاجتماعي الذي يظهر من خلال الخطاب حين يخاطب الجماهير بلغة عامية تلهب حماسها ويعلو صفيرها وتصفيقها قائلا**: "مبخلتوش عليا لا بمية ولا بأكل ولا بسلاح، ولا برجال، ولا بدماء، ولا بشهداء"**.

لم يغفل عرفات في خطاب قلقيلية ومضمونه الاجتماعي عن التأكيد على أخوة العرب وواجب حسن الجوار معهم فيقول: **" فأوصيكم بالجوار، الجوار العربي "**، وبنفس الفهم لطبيعة الجماهير وشوقها لسماع ما يشبع الأنا بداخلها من باب أن حقَّها الإنصاف والاعتراف بها وبجهودها نجد ياسر عرفات أتقن مخاطبة الجماهير بنابلس أيضا حين **قال " نابلس جبل النار، نابلس الانتفاضة، نابلس أرض البطولات، أرض الشهداء، أرض الجرحى، أرض الأحرار، أرض الشرفاء"** وذكره لمخيماتها كنوع من المحبة والترابط والاعتراف بأهميتها **" بلاطة، عسكر، عين الماء"**، وأن الجماهير ستبقى موجودة في عملية البناء **" جنبا إلى جنب، نتعاهد، نتعاضد"**.

وفي **خطاب طولكرم** 1995م من حيث بدايته وتركيزه على دور الجماهير لكسب ودها والاعتراف بدورها: **" تنحني أمام شجاعاتهم وبطولاتهم القامات"** واستذكاره لشاعر المدينة **" أهل بلدة أبو الطيب عبد الرحيم محمود"**، وعودته للتأكيد على دور كل الجماهير، فقال مؤكداً على احترام دور الجماهير ووقوفه إلى جانبِ الثورة الفلسطينية بلهجة مصرية عامية **" هل خطر في بال اللي كان يئدمولي الطعام سرا والمية بالسر والطلئتين بالسر والمسدس بالسر وأنا جاي عندكم في**

ال67و68"، وعدم إغفاله لكافةِ الفئات والشرائح بتعريجه على الجرحى والمعتقلين والشهداء .

وفي **خطاب بيت لحم** 1995م نجد تركيزه على اللحمة الاجتماعية بين المسيحي والمسلم ورسالته بتقديم المسيحي على المسلم بها من المفاهيم الأخلاقية والسياسية والاجتماعية الكثير حين بدأ خطابه من الإنجيل بـ **" المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة "** ووصفه لأهل بيت لحم **"بأمثولة العطاء"** وذكره أيضا للمرأة **" المعتقلين والمعتقلات"**. وفي خطابه أو كلمته التأبينية لرفيق دربه الشهيد خليل الوزير أبو جهاد فتظهر عاطفته الاجتماعية الفردية اتجاه رفيقه حين يخاطبه **" يا حبيب دربي"** وحين يعاهده بأن دمه لن يذهب هدرا.

وعن **خطابه الأول أمام المجلس التشريعي1996م** في أولى جلساته الافتتاحية، تكثر الألفاظ والجمل التي تحوى على مضمون اجتماعي سواء على الصعيد الفلسطيني ووحدة الصف أو الترحاب بضيوف فلسطين والاستشهاد والاعتراف بدورهم مع الشعب الفلسطيني فيبدأ كلمته بألفاظ **" الأخ، الأخوة، الأخوات، الضيوف الكرام،** ومخاطبة ياسر عرفات بها للحضور الفلسطيني والعربي والدولي رسالة واضحة على أن السلطة الفلسطينية وهي تبدأ أولى خطوات البناء وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة إنما هي تنظر لأن تكون على علاقة متينة وصلبة مع جميع دول العالم وتؤسس لشراكات معها فيقول: **" أرحب باسم الشعب الفلسطيني بالدول الشقيقة والصديقة "** وهي تحمل معنى اجتماعي دلالي على أنَّ فلسطين حريصة على تماسك العلاقات مع هذه الدول التي ناصرت القضية الفلسطينية

ويظهر الوفاء والعرفان في خطاب الرئيس من خلال عدة ألفاظ تدل على الاحترام والتقدير والوفاء مثل: **"أحييهم وأشكرهم على مشاركتهم الكريمة "، " تحت رعاية أخي الرئيس مبارك "، " نذكر بالامتنان الدول المانحة وما قدمته وتقدمه"**، وتطرق ياسر عرفات لقضايا اجتماعية مهمة في خطابه في سياق إيجابي[1] ليوضح للعالم أن التربية السليمة هي فقط من تواجه الإرهاب وتحد منه وليس مواجهة الإرهاب بالإرهاب **" وتربية النشء في ظروف صحية وبثقافة عصرية مع التمسك بالقيم والمعتقدات بأرقى مفاهيمها الحقيقية من شأنه أن يحد من ظاهرة الإرهاب ونتائجه "**.

---

(1) ترى الكاتبة أن السياق إيجابي لعدة أسباب من أهمها : أن الخطاب أتى بعد عدة عمليات تفجيرية بهدف تخريب عملية السلام كما كان التحليل السياسي حينها، وأن ياسر عرفات ذكر التربية، والظروف الصحية بعد أن تطرق للإرهاب والحصار الإسرائيلي، والإغلاق على أراضي السلطة الفلسطينية؛ ليؤكد للجميع أن الظروف الصحية والاجتماعية وترسيخ ثقافة السلام هي الضمان الوحيد للشعبي.

كذلك اهتمامه الدائم بكل خطاباته على الاهتمام والتقدير للشهداء وأرواحهم التي قدموها لأجل فلسطين **" نذكر بالتقدير والاعتزاز كل شهداء شعبنا وفي مقدمتهم أخي وحبيبي أمير الشهداء"أبو جهاد"** .وتركيزه على تنمية المجتمع الفلسطيني وبناء اقتصاده **" تحقيق تنمية توفر لشعبنا حياة كريمة "** واللافت في خطاب ياسر عرفات ورغم العمليات التفجيرية داخل دولة الكيان حسب الاتفاق والتي كادت أن تودي بعملية السلام إلا أنه ورغم وصفها بالإرهابية لم يأتِ على ما يأتي عليه زعماء الماضي والحاضر من تخوين للآخر والتشكيك في وطنيته أو دينه أو أخلاقه بل اللافت توجيهه للكل الفلسطيني وللمختلفين معه ومع مشروع السلام لبدء الحوار **" ولنتفق فيما نتفق عليه وليعذر بعضنا البعض فيما نختلف فيه"**.

ثانيا: المضمون الثوري عند أبي عمّار:

جاءت خطابات عرفات مفعمة في المضمون الثوري سواء الجماهيرية أو الدولية، فقد كانت الثورة حاضرة في خطابات الرئيس بمعناها وبدلالتها، فكان عرفات مفجر الثورة الحديثة والتي انعكست في كافة خطاباته، فكان الثائر الداعي للثورة ضد الاستعمار الصهيوني، ومن أجل نيل الحرية ففي خطاب الأمم المتحدة يقول:**" إنني ثائر من أجل الحرية. وأعرف أن كثيرين من الجالسين في هذه القاعة كانوا في مثل المواقع النضالية التي أقتل منها الآن"**، كان دائم الحلم بمستقبل مشرق لفلسطين حتى وهو في منفاه فيقول: **"فلماذا لا أحلم، يا سيادة الرئيس، وآمل، والثورة هي صناعة تحقيق الأحلام والآمال"**، وكان يرى أنها مشروعة وحق للشعب الفلسطيني دفاعاً عن أرضه وممتلكاته، وحضارته وكافة الأماكن المقدسة في فلسطين، وقد استخدم الثورة بلفظها في كل الخطابات، وإن لم يستخدمها لفظاً استخدمها دلالة.

ففي خطاب الأمم المتحدة جاء تأكيده على طريق الثورة إن لم يكن السلام هو الحل في جملته الذكية المشهورة التي قال فيها : **"لقد جئتكم يا سيادة الرئيس بغصن الزيتون مع بندقية ثائر.. فلا تسقطوا الغصن الأخضر من يدي"**. أكد أيضاً على أن الثورة تتوارث وستتوارث حتى نيل الحقوق **" ولهذا فإن شعبنا لا يستطيع إلا أن يواصل تراث أجداده في الكفاح ضد الغزاة "، "فإن ثورتنا من الأساس لا تقوم على أسس عرقية أو دينية عنصرية، وليست موجهة للإنسان اليهودي من حيث كونه إنساناً وإنما هي موجهة ضد العنصرية الصهيونية وضد العدوان "، " فإن ثورتنا هي أيضاً من أجل الإنسان اليهودي، غننا نناضل من أجل أن يعيش اليهود والمسيحيين والمسلمون بمساواة في الحقوق والواجبات وبلا تمييز عنصري أو ديني"، "إن الذين ينعون ثورتنا بالإرهاب"، "إن الجانب الذي يقف فيه حامل السلاح هو الذي يميز بين الثائر والإرهابي"، "وناضل في ثورات ست، ومن خلال**

عشرات الانتفاضات الشعبية"، "وناضل للحفاظ على وجوده"، وهي رسائل هامة للعالم للتفريق بين الجلاد والضحية من جانب، وأن الصراع صراع وجود والفلسطيني يحترم كافة الأديان من جانب آخر، ونجد لاستخدام لفظ الشعبية بعد الانتفاضات أكثر من مدلول، بأن الثورة الفلسطينية لا تعتمد الكفاح المسلح فقط، بل تعتمد الفعل الشعبي وكذلك ذكره للفظ الانتفاضات إشارة منه لديمومة الثورة ومشاركة الجماهير لثورتها في النضال.

كذلك استخدم ياسر عرفات ألفاظاً وعباراتٍ تمجد الثورة المسلحة كأساس لكل ما تلاها من فرز للقيادات ووجود للمؤسسات والتنظيمات الفلسطينية **" ومن خلال ثورة شعبنا المسلحة تبلورت قيادته السياسية وترسخت مؤسساته الوطنية وبنيت حركة التحرير الوطنية التي تضم كل فصائله وتنظيماته وقدراته والتي جسدتها منظمة التحرير الفلسطينية".**

ولم تَخلُ **وثيقة الاستقلال** من المضمون الثوري الذي نستشفه من بعض العبارات منها: **" ولقد كانت ثورات شعبنا المتلاحقة تجسيدا بطوليا لإرادة الاستقلال الوطني"** وهي دلالة لغوية تشير إلى استمرارية النضال والثورات ضد المحتلين وأن الفلسطيني سيبقى ثائر مهما طال الاستعمار **"ولقد واصل نضاله الملحمي، وتابع بلورة شخصيته الوطنية من خلال التراكم النضالي المتنامي"** وهي إشارة أيضاً لأن الشعب الفلسطيني وثورته يتطوران في نضالهما الذي يتنامى مع قسوة المحتل وبطشه . **"إن الانتفاضة الشعبية الكبرى المتصاعدة في الأرض المحتلة مع الصمود الأسطوري في المخيمات داخل وخارج الوطن قد رفعا الإدراك الإنساني بالحقيقة الفلسطينية إلى مستوى أعلى من الاستيعاب والنضج "**

"مع الانتفاضة، وبالتراكم الثوري النضالي لكل مواقع الثورة يبلغ الزمن الفلسطيني إحدى لحظات الانعطاف التاريخي الحادة - من وهج الانتفاضة المباركة ومن ملحمة الصمود في المخيمات وفي الشتات وفي المهاجر - على مواصلة النضال من أجل جلاء الاحتلال"

استخدم ياسر عرفات في الشواهد السابقة اللغة في تبيان التلاصق والتكامل بين مواقع النضال الثوري الفلسطيني، وأن الثورة عمل كفاحي للمقاتلين وصمود للجماهير، بل ويؤكد من خلال لغته وذكره للانتفاضة في الأراضي المحتلة وللصمود في مخيمات الشتات بوحدة النضال الفلسطيني، وهي إشارة لغوية قوية؛ لرفع معنويات وزيادة لهيب الانتفاضة في الداخل الفلسطيني، وفيها إشارة لغوية خفية لما يعانيه الفلسطيني في دول الشتات، وأن الانتفاضة بتراكمها وزخمها الجماهيري تشكل انعطافة تاريخية في الحل الدائم وهي إشارة خفية للوصول لاتفاق سلام من خلال الفعل الانتفاضي والثوري.

ونجد اختلاف الألفاظ الدالة على الثورة في خطابات عرفات حسب الزمن الذي يلقي فيه الخطاب فمثلا وبعد توقيع اتفاق أوسلو وعودته مع مقاتلي الثورة للوطن كانت خطاباته أخف وتيرة وإشاراته اللغوية الدلالية لا يُمكن أن تحسب عليه في المحافل الدولية ولا أن يأخذها العدو كذريعة، ففي **خطاب جنين** مثلا تلحظ إشاراته اللغوية بدلالتها العميقة والهادفة لتاريخ المدينة المقاوم مستشهدا بالشهيد عز الدين القسام حين قال عن جنين **"بلد القسام"** وذكره للشهداء الذين سقطوا على أرضها كإشارة للمقاومة والثورة **"الشهيد مجاهد والشهيد محمد في ال 67 م" "الشهيد نور، الشهيد بلال"** وبذكره للجملة الثورية المعهودة له وللثورة **"العهد هو العهد والقسم هو القسم "** رسالة مبطنة بأن النضال الفلسطيني بكافة أشكاله سيستمر.

وفي **خطاب قلقيلية ونابلس** لا يختلف الحال من حيث تغير لغة الخطاب واستخدام الدلالات للثورة فنجده يردد نفس المقولة الثورية **"العهد هو العهد والقسم هو القسم"** وتهتف بها الجماهير وتكررها مرارا معه وبعده، ويستذكر معهم الانتفاضة لتحفيزهم **" لقد رفعتم رؤوسنا في سنوات الانتفاضة المباركة" ويخاطب الأطفال والزهرات بـ"الجنرالات الجدد"** اعترافا بدورهم البارز في انتفاضة الحجارة، واستذكاره للشهداء والأسرى ولأن عرفات يعلم ما يلهب حماس الجماهير كان ينتقي تسميات المدن الثورية ونضالاتها؛ ليصل بعدها رسالته وهدفه من الخطاب فكما ذكر **جنين القسام**، تجده يقول عن نابلس **"جبل النار، نابلس الانتفاضة، نابلس أرض البطولات نابلس الشهداء نابلس الأحرار**، أرض الشرفاء وفي **خطاب طولكرم** الحال ذاته من التذكير بأيام الثورة والنضال **"هل خطر في بال اللي كان يئدمولي الطعام سرا والمية بالسر والطلئتين بالسر والمسدس بالسر وأنا جاي عندكم في ال67 و8"** وهي دلالة عن الثورة والكفاح المسلح وأن وجوده في طولكرم ليس فقط بفضل عملية السلام بل بفعل الكفاح المسلح الذي أوصل لها، وذكره الدائم لأمير الشهداء أبو جهاد والأسرى والمعتقلين.

وأما عن **خطابه في المجلس التشريعي** الذي أتى بعد عدة عمليات تفجيرية داخل الكيان الإسرائيلي حسب الاتفاق المبرم، فقد ركز فيه ياسر عرفات على عملية السلام ودعمها وحمايتها من العالم ومن الجانبين أصحاب العلاقة، ولم يركز نتيجة لطبيعة الخطاب، والسياق الزماني له على الثورة والنضال الفلسطيني سوى ببضعة مطارح من الخطاب، وبسياق يتلاءم مع الخطاب بمجمله، فلقد ذكر الثورة بلفظتها في مكانٍ واحد **"والجيل الذي عاش المنافي وانطلق بالثورة" وأتى عليها بدلالة في مطرح واحد أيضا "الانتفاضة"** وهي ندرة منطقية ومقبولة نتيجة لطبيعة الظروف وزمن الخطاب ونوع المتلقين له.

ثالثا: مضمون الوحدة الوطنية عند أبي عمَّار:

إن وحدة أي شعب ووحدة قواه الأساسية تُشكل الدعامة الأساسية لوجوده، والحفاظ على إرثه وتراثه، وبناء دولته، وكيانه المستقل في ظل نظام يقوم على أساس التعددية السياسية والعدالة الاجتماعية، وأن القضية الفلسطينية بطبيعتها وجذورها التاريخية، وتعرض الأرض والإنسان الفلسطيني لأعتى وأبشع صور الاحتلال عبر تاريخها استدعت على الدوام وحدة الشعب بأديانه السماوية وتوجهاته السياسية.

حرص ياسر عرفات على الوحدة الوطنية الفلسطينية منذ نعومة أظافره وبدء تاريخه الثوري في تأسيس حركة فتح وانضمامها لمنظمة التحرير الفلسطينية، فكان ياسر عرفات يؤمن على الدوام بأن الوحدة الوطنية الفلسطينية هي جذر الشجرة الممتد في الأرض والذي يحمل الأغصان والسيقان ويؤوي الثمار، فهي التي تشد من أزر الشعب وتدعم صموده وتحمي الجبهة الداخلية من المؤامرات الخارجية، لذا فقد حرص ياسر عرفات قولاً وعملاً على وحدة الصف الفلسطيني وفصائله الفلسطينية وتمثيلها في إطار موحد يحمل شكل القداسة أمام العالم ألا وهي منظمة التحرير الفلسطينية، وهذا المتتبع لخطابات ياسر عرفات وحديثه الدائم عن الوحدة الوطنية بذكرها صراحةً في مواضع بعينها، أو من خلال دلالات لفظية في مطارح أخرى، وتأتي أحيانا على شكل إرشادات وتوصيات أبوية تحمل رمزية القائد، وتجد الكاتبة أن حديث ياسر عرفات في خطاباته عن الوحدة الوطنية تكثُر في خطاباته الموجهة للشعب والجماهير الفلسطينية وكياناتها حسب سياق الخطاب وزمانه[1].

---

(1) "إن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للقضية للشعب الفلسطيني"، " ومن خلال ثورة شعبنا المسلحة تبلورت قيادته السياسية وترسخت مؤسساته الوطنية وبنيت حركة التحرير الوطنية التي تضم كل فصائله وتنظيماته وقدراته والتي جسدتها منظمة التحرير الفلسطينية، " شعبها العظيم المنصهر في وحدته الوطنية"، " ومن طموحها الحاضر إلى تحقيق أهدافها في التحرر والتطور والديمقراطية والوحدة "." منظمة التحرير الفلسطينية ، ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني باعتراف المجتمع الدولي" ، " قادت منظمة التحرير الفلسطينية معارك شعبها العظيم"، " ونرفع قلوبنا على أيدينا لنملأها بالنور القادم من وهج الانتفاضة المباركة، ومن ملحمة الصامدين في المخيمات وفي الشتات وفي المهاجر"، " ومن حملة لواء الحرية :أطفالنا وشيوخنا وشبابنا ، أسرانا ومعتقلينا وجرحانا المرابطين على التراب المقدس وفي كل مخيم وفي كل قرية والمرأة الفلسطينية الشجاعة"، نما وتطور وأبدع وجوده الإنساني عبر علاقة عضوية، لا انفصام فيه ولا انقطاع، بين الشعب والأرض والتاريخ "، :" وقد شهدنا في الانتخابات التاريخية قبل أسابيع تجسيداً فذاً لوحدة الشعب وتكاتفه، "فإننا نؤكد حرصنا على تعزيز الوحدة الوطنية حرصنا على تعزيز الترابط والتلاحم الواحد بين شعبنا

والملاحظ أن الوحدة الوطنية جاءت في خطابات ياسر عرفات حسب الزمان والمكان والسياق، ففي خطاباته قبل العودة للوطن كان ينادي للوحدة الوطنية من أجل التحرير والعودة للوطن بوحدة الصف ووحدة النضال والبندقية، وبعد عودته للوطن كان يستخدم لفظة الوحدة بهدف البناء والتنمية والوصول للدولة الفلسطينية المستقلة.

رابعا: المضمون الديني عند أبي عمار:

يعرَّف الخطاب الديني على أنَّه:**" مجموعة الوسائل والاستراتيجيات التي يتخذها الإسلام لإيصال مفاهيمه أو مجموعة الأفكار والرؤى والتصورات نحو مجموعة من القضايا"**[1]

كان عرفات ملتزماً متديناً بطبيعته خاصة أنه انتمى في بداياته إلى حركة الإخوان المسلمين، حيث كان يحرص على أداء الفروض والشعائر، فجاء ياسر عرفات، وجاء معه صوت الخطاب المؤثر والموحد، فكان خطابه خطاب العزة،

=

داخل الوطن وفي المنافي والشتات"، كما أنني أوجه من على هذا المنبر نداءً لجميع القوى والفصائل والتيارات الفاعلة وأدعوها للالتحاق بأطر العمل الوطني، "إن المرحلة القادمة تتطلب حشد قوانا وطاقاتنا لمواجهة كافة التحديات والصعاب التي تواجهنا، إن جميع الأبواب مفتوحة أمام جميع القوى الوطنية الفلسطينية للعمل في ظل السلطة الوطنية بشكل ديمقراطي، ولنتفق فيما نتفق عليه وليعذر بعضنا البعض فيما نختلف عليه"، " غلابة يا فتح غلابة يا فتح بالوحدة الوطنية بالوحدة الوطنية، غلابة يا فتح، بالوحدة الوطنية بالوحدة الوطنية بالوحدة الوطنية"، يا إخواني يا أحبائي، أناشدكم أن تكونوا على قلب رجل واحد، الوحدة الوطنية هي اللي بتبني الدولة الفلسطينية، هي اللي بتبني الدولة الفلسطينية"، " لكل من حاول تشويه الصورة أو يحاول أن يطعن بالمسيرة عندما قالوا غزة أولا وأخيرا وقلنا لهم لا، رفح وخانيونس وجنين وبيت لحم وقلقيلية ورام الله وطولكرم:" الدولة الفلسطينية المستقلة التي علينا مسئولية تاريخية أن نبنيها بعرقنا بتضحياتنا، أن نبنيها بكل جهدنا، نبنيها ، نبنيها بوحدتنا الوطنية بوحدتنا الوطنية بوحدتنا الوطنية"، " أحيي أمامكم جميع الشهداء وعلى رأسهم أمير الشهداء "أبو جهاد " وأحيي جميع المعتقلات والمعتقلين وعلى رأسهم الشيخ "أحمد ياسين"، " جنبا إلى جنب نبني الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، "مرة أخرى الأمن والأمان والوحدة الوطنية الوحدة الوطنية نبني الدولة الفلسطينية"، "ماذا يمكن أن أعطي لهذه المرأة المحاصرة في الرشيدية التي انهالت عليها مدافع وقنابل الإسرائيليين أمس إلا أن أقول لها أن الوحدة الوطنية الفلسطينية هي طريقكم إلى الخلاص وسبيلكم إلى فلسطين"، إن هذه الأرض العربية هي جزء لا يتجزأ وان إرادتها جزء لا يتجزأ وأنه إذا اشتكى منا عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ".

(1) أحمد أبو السعيد، الصورة الذهنية للرئيس ياسر عرفات لدى النخبة الإعلامية الفلسطينية، المؤتمر العلمي الدولي، ياسر عرفات ذاكرة وطن ومسيرة شعب، جامعة الأقصى، غزة، 2005.

فمن سمع عباراته التي استخدمها لا ينتابه الشك في قضيته وقدسيتها، فهي بمثابة الوعد الإلهي الذي نهايته الانتصار المحقق، فكان البعد الديني والتوجه الإسلامي في خطاب الرئيس يدب الصمود في نفوس الجماهير فلا ينتابهم اليأس.

استمد عرفات من عمق القرآن آيات أسهمت في استمالة قلوب الجماهير، ولم يكن هذا الأمر ليتحقق بسهولة، لكن عرفات صاحب الموهبة القيادية التي أهلته للقيادة في حقبة من الزمان ما جعلت منه موقناً بأهمية تطعيم خطابه بالبعد الديني، فأصبح الخطيب المؤثر الذي امتلك ثروة دينية انعكست في مجمل خطاباته، فمن كان يستمع للرئيس يعي تدين هذا الرجل، والقصد من اختياره لآيات وألفاظ دون أخرى ومن تلك المقاصِد، التأكيد على قدسية حركة التحرير الوطني الفلسطيني، ومدى ارتباطها بحتمية النصر، وقد استخدم عرفات في خطاب **طولكرم** بعض الألفاظ المستوحاة من القرآن الكريم والشريعة الإسلامية، وهي تدل على ايمان ياسر عرفات وتدينه ووعيه بأن الشعب الفلسطيني شعب متدين وتربطه جذوره الدينية بأرضه مثل:**" الدين، المباركة، الأبرار "**، إضافة إلى استشهاده بالعديد من الآيات القرانية، والتي عبّرت عن إيمان ياسر العميق بعودة الحق لأصحابه، وأهمية الاتحاد والقوة، وأن فجر الحرية حتماً سيبزغ، كما واستخمها لتوصية شعبه وجماهيريه بالصبر والثقة بالله والتوكل عله، حتى تحقيق النصر.

من الشواهد العمارية التي وردت في الخطابات ما يأتي: "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (3)"[1]، "وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ"[2]، "وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"[3]، "وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"[4]، "إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ"[5].

---

(1) سورة الفتح، آية(1-3)

(2) سورة الشورة، آية(39)

(3) آل عمران، آية (139)

(4) سورة الأنفال، آية (25)

(5) سورة هود، آيه (81)

"وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ"[1]، "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ"[2]، "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ"[3]، "إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ"[4]، "وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا"[5]، "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"[6]، "وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ"[7].

---

(1) سورة الأنبياء، آية (71)

(2) سورة الصف، آية (4)

(3) سورة القصص، آية (5)

(4) سورة غافر، آية(51)

(5) سورة الإسراءة، آية(7)

(6) سورة التوبة، آية (111)

(7) سورة النحل، آية (127)